

### الخلافة : شورى أم وصية ؟

#### ● عقيدة الإمامية : الخلافة وصية وعهد

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان » . (١) والمقصود بالأمر هنا هو الخلافة . وقريش : « هم ولد فهر بن النضر بن كنانة الذين يرجعون بأنساب آبائهم إليه » (٢) .

ويقول ابن حجر رحمه الله : « ذهب جمهور أهل العلم إلى أن شرط الإمامة أن يكون قرشياً . وقيد ذلك طوائف ببعض قريش ، فقالت طائفة : لا يجوز إلا من ولد علي . وهذا قول الشيعة . ثم اختلفوا اختلافاً شديداً فى تعيين بعض ذرية علي . وقالت طائفة : يختص بولد العباس ؛ وهو قول أبو مسلم الخراسانى وأتباعه . ونقل ابن حزم أن طائفة قالت : لا يجوز إلا فى ولد جعفر بن أبى طالب . وقالت أخرى : فى ولد عبد المطلب . وعن بعضهم : لا يجوز إلا فى بنى أمية . وعن بعضهم : لا يجوز إلا فى ولد عمر . قال ابن حزم : ولا حجة لأحد من هؤلاء الفرق . وقالت الخوارج وطائفة من المعتزلة : يجوز أن يكون الإمام غير قرشى ، وإنما يستحق الإمامة من قام بالكتاب والسنة سواء كان عربياً أم أعجمياً . وبالغ ضرار بن عمرو فقال : تولية غير القرشى أولى ، لأنه يكون أقل عشيرة ، فإذا عصى كان أمكن لخلعه . » (٣) .

ومن الجلي أن هذه الخلافات لم تقع إلا بعد عصر الخلفاء الراشدين . وهى

(١) فتح البارى ؛ كتاب الأحكام ؛ رقم ٧١٤٠ ؛ ج٣ ص ١١٤

(٢) ابن حزم ؛ المحلى ؛ المسألة رقم ٨٦ ج١ ص ٤٤

(٣) فتح البارى ؛ شرح الحديثين رقم ٧١٣ ، ٧١٤٠ ؛ ج٣ ص ١١٨

ليست محصورة بين الشيعة وأهل السنة ، ولكنها شاعت بين الفرق الإسلامية كلها، وصارت فصلاً ثابتاً في أدبياتها .

وليس في هذه الآراء نص بوضعية لأحد بعينه من رجالات قريش .

لكن عقيدة الإمامية الراسخة هي أن علي بن أبي طالب هو خليفة رسول الله ﷺ ، بوضعية من الله تعالى وعهد من النبي . وعلى هذا اعتبروا أبا بكر مقتصباً لحق علي ، وعاصياً لله تعالى ورسوله ؛ وخلافته باطلة وغير مشروعة ، وتبعاً لهذا رفضوا خلافة عمر وخلافة عثمان ، واعتبروا الصحابة الذين أيدوهم ابتداء من يوم السقيفة ، منافقين عاصين لله تعالى .

ويصور أحد غلاة الإمامية هذه العقيدة فيقول : « إنه لما عمّت البلية على كافة المسلمين بموت النبي صلى الله عليه وسلم وآله ، واختلف الناس بعده ، وتعددت آراؤهم بحسب تعدد أهوائهم ، فبعضهم طلب الأمر لنفسه ، ( يقصد أبا بكر الصديق رضي الله عنه ) ، وتابعه أكثر الناس طلباً للدنيا » .

ويرد شيخ الإسلام ابن تيمية على هذه الافتراءات فيقول إن : « في هذا الكلام من الكذب والباطل وذم خيار الأئمة بغير حق ، ما لا يخفى من وجوه : أحدها قوله : تعددت آراؤهم بحسب تعدد أهوائهم ، فيكونون كلهم متبعين أهواءهم ، ليس فيهم طالب حق ، ولا مرید لوجه الله تعالى والدار الآخرة ، ولا من كان قوله عن اجتهاد واستدلال . وعموم لفظه يشمل علياً وغيره . هؤلاء الذين وصفهم بهذا هم الذين أثنى الله عليهم هو ورسوله ورضى عنهم ووعدهم الحسنی ، كما قال تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] (١) .

وهذا تقليد شيعي عام ممتد منذ عهد الراشدين وإلى اليوم ، وليس نزغة شيطان لدى كاتب معين ، باستثناء قلة من العلماء المصلحين المعاصرين . ولدى

(١) منهاج السنة النبوية ؛ ج١ ص ١٥٢ .

غلاة الشيعة غرام مرضى بالتشنيع بأبى بكر وعمر خاصة ، يصل بهم إلى  
أحط دركات الإسفاف والابتذال !

وهم يستبيحون أعراض الصحابة جميعاً دون تمييز ، وفى الوقت نفسه  
يرفعون أقدار الذين أيدوا علي بن أبى طالب ، إلى عنان السماء !

أما عليّ نفسه فقد رفعه البعض إلى مستوى الإله المعبود ! وهؤلاء نبذهم  
الشيعة أنفسهم . لكن الأغلبية الساحقة تقول : إن الإمامة عهد من الله عز وجل  
معهود من واحد إلى واحد . ( من علي إلى ذريته ) وإن الله تعالى نص علي إمامة  
علي ثم الحسن ثم الحسين ، إلى نهاية الأئمة الاثنا عشر . وأنهم هم الآيات التى  
ذكرها الله عز وجل فى كتابه . وإنهم ورثوا علم النبى وجميع الأنبياء والأوصياء  
الذين قبلهم ، وعندهم جميع الكتب التى نزلت من عند الله عز وجل وإنهم  
يعرفونها على اختلاف لغاتها ، وعندهم ما يسمونه الصحيفة والجفّر والجامعة  
ومصحف فاطمة ، وإنهم يعلمون متى يموتون وإنهم لا يموتون إلا باختيار منهم<sup>(١)</sup> .

وقد صدع النبى لأمر الله وأعلن يوم « غدیرخُم » أن عليّاً مولاه ومولى كل  
مؤمن . وشهد بذلك ثلاثون صحابياً . واعترف أبو بكر وعمر يومها بإمامة علي<sup>(٢)</sup> .

وكل الأدلة تشير إلى اعتقاد علي نفسه بأنه كان أوّلى بالخلافة من أبى بكر ،  
وإن تقبّل اختيار المسلمين ، وشارك فى الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية على  
امتداد أيام الخلفاء الثلاثة . ويبدو أنه كان يعبر عن عدم رضاه أمام بنيه ، حتى  
وجدنا الحسن بن علي - وهو غلام صغير - يقول لأبى بكر وهو على المنبر : انزل  
عن منبر أبى ! ويحاول علي إصلاح الأمر فيقول لأبى بكر إنه غلام حدّث ، وإنّا لم  
نأمره ، ويقبل الصديق الاعتذار<sup>(٣)</sup> . وفى مراسلات الحسن إلى معاوية يقول الحسن  
إن الخلفاء استولوا على الخلافة التى هى عهد لأبيه ، فيصحح له معاوية معلوماته  
بأن يذكره بالبيعة الحرة والشورى التى وضعت الخلفاء الثلاثة على رأس الأمة<sup>(٤)</sup> .

(١) الكليني ، الكافي ؛ كتاب الحجة .

(٢) حيدر الحلى ؛ الكلام الجلي ؛ ص ١٨٠ - ١٨٥ ، ١٩٣

(٣) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جه ص ٢٥٨ - ٢٥٩

(٤) نفسه ؛ ص ٢٥٨ - ٢٥٩

## ● سبُ الشيخين !

ومع الزمن تطوّر موقف أتباع علي وبنيه ، وظهرت فئات منهم ترى أن سب الشيخين عمل يُتعبد به ! ولم يكن كل الشيعة على ذلك المذهب . وقد نفى الإمام جعفر الصادق أن يكون سب أبي بكر وعمر نحلة آل البيت ، كما نفى ذلك أيضا علي زين العابدين (١) . ويؤثر عن الصادق قوله لصاحبه جابر الجعفر : « يا جابر ، بلغني أن قوماً من العراق يزعمون أنهم يحبوننا ، ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويزعمون أني أمرتهم بذلك ، فأبلغهم أني إلى الله برئ منهم . والذي نفس محمد بيده لو وُلّيتُ لتقربتُ إلى الله بدمائهم ! لأنّ لثني شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما » . وقال الصادق : « من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر فقد جهل السنّة » . (٢)

وكان الصادق يتابع رأى جده زين العابدين ، وأبيه الباقر ، القائل إن الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم مخالف للسنّة (٣) .

ويؤثر عن علي بن أبي طالب نفسه شهادات عظيمة للشيخين . فعن محمد بن علي (ابن الحنفية) أنه قال لأبيه : « يا أبت من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ؟ فقال : يا بني أو ما تعرف ؟ فقلت : لا . قال : أبو بكر . قلت : ثم من ؟ قال : عمر » . وخشيت أن يقول ثم عثمان فقلت : ثم أنت ؟ فقال : « ما أنا إلا رجل من المسلمين » . (٤)

والإمام الصادق هو الذي صاغ المذهب الاثنا عشري ، وبهذا تميز على سائر الأئمة (٥) . وأحد أحفاده كان أول من أسس دولة علوية في إفريقية (٦) .

## ● الغلاة يزورون !

ولكن غلاة الشيعة لا يتورعون عن التقاط الأخبار الزائفة التي تحط من أقدار الصحابة . فيروى أحدهم خيراً مزوراً يقول : إن عمر بن الخطاب كان

(١) أبو زهرة ؛ جعفر الصادق ؛ ص ٢٠ (٢) نفسه ؛ ص ٢٤ .

(٣) نفسه ؛ ص ٢٠٩ . (٤) العقيدة الطحاوية ؛ ص ٢٩٣

(٥) د . إبراهيم دسوقي شتا ؛ الثورة الإيرانية ؛ ص ٢٦

(٦) اتعاظ الخنفا ؛ ج ١ ص ٣٥

يشرب الخمر ! وهذا الخبر موجود فى كتاب «العلل المتناهية» وهو كتاب شامل للأخبار المزورة . وعلق عليه ابن الجوزى ، مؤلف الكتاب ، بقوله : « هذا كذب من سعيد بن لعوة - راوى الخبر - الذى وصفه ابن حبان بأنه : شيخ كبير دجال ، يزعم أنه رأى عمر يشرب الخمر » (١) . وينكر الغلاة الأخبار المتواترة بأن أبا بكر صلى بالناس طوال مرض النبى الذى توفى فيه ! (٢) .

وهم جهال بالسيره النبويه ، فيزعم أحدهم أن أبا بكر قر من المعارك مراراً قبل يوم بدر ! ومعلوم أن يوم بدر كان أول المعارك !

وهم يتورطون فى الإساءة إلى «علي» حين يتحدثون عن إنفاقه فى سبيل الله ، ويقارنونه بأبى بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف ! ومعروف أن علياً كان فقيراً ، وليس له تضحيات مالية تذكر ، ومقارنته بأبى بكر وعثمان وعبد الرحمن ابن عوف لا محل لها ! وقد رأينا فيما سبق تضحياتهم المالية السخية فى سبيل الإسلام . لكن غلاة الشيعة يتهمون الراشدين بالبخل ! (٣)

وهم يخترعون وقائع للطعن فى الراشدين . من ذلك قصة ضرب عمر لفاطمة ، رضى الله عنهما ، وإسقاط حملها الذى أسموه «المحسن» . يقول شاعرهم :

هل أسقط القومُ ضرباً حملها فهوت      تئنُّ مما بها والضلعُ منكسر  
وهل كما قيل قادوا بعلها فعدت      وراءه نادبةً والدمع منهمر ؟  
إن كان حقاً فإن القوم قد مرقوا      عن دينهم وبشرع المصطفى كفروا ! (٤)  
فالشاعر ليس واثقاً من صحة الواقعة ، وعلى الرغم من ذلك يطلق لسانه فى تكفير الفاعلين المزعومين أو المتوهمين !

وينحط هذا الشاعر إلى أدنى دركات الإسفاف حيث يقول :

(١) ابن الجوزى ؛ العلل المتناهية ؛ رقم ١٥٧ ج٢ ص ٤٥٩

(٢) منهاج السنة النبوية ؛ ج٤ ص ٢٩٠

(٣) الميلانى ؛ قادتنا ؛ ج٣ ص ٥٦

(٤) محمد جمال الهاشمى ؛ الهاشميات ؛ ص ٣٥

بهم الخلافة أصبحت متنزهاً فيها تعيث أرانبا وذئاب  
الخمر فى واحاتها متشعشع والفسق فى ساحاتها صخاب !  
ويتهم الغلاة عمر بن الخطاب بقلة العلم ، لأنه يوم وفاة النبى صلى الله عليه  
وسلم وآله قال : إن النبى لم يميت ! ولأنه أمر بجرم امرأة زانية وهى حامل ، فأخبره  
على بأنها حامل ، فرجع عن أمره .

والحق أن موقف عمر يوم وفاة النبى كان حكيماً ، لأن التأكد من الوفاة  
يستغرق بعض الوقت ، فأراد عمر ألا يعلن عن وفاة النبى إلا بعد التأكد من الوفاة .  
ولا دخل لهذا بقلة العلم ، فهو يعلم قول الله تعالى ﴿ كَلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾  
[الرحمن: ٢٦] وقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠] وقوله تعالى  
﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤] . ولم يكن  
عمر يعلم أن الزانية حامل ، فلما أخبره علي بذلك أجل تنفيذ الحكم .

ولقد بينا أن عمر رضى الله عنه كان من أعظم الصحابة علماء وفقهاً وثقافة .  
وكراهية أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها جزء أساسى من دين الغلاة !  
فهم ينكرون أنها من آل بيت النبوة ، وينكرون أنها من أمهات المؤمنين ! فهى ابنة  
أبى بكر الذى اغتصب الخلافة من علي ، وليس لها أية منقبة أو ميزة غير ذلك !  
وهم يردون كل الأخبار التى تتحدث عن حب النبى لها وتقديمه لها على سائر  
نسائه ، وعن تمريرها للنبى ، وموته فى حجرها ، وعن علمها الواسع بالإسلام .  
بل يتهمونها بالكذب على رسول الله ﷺ (١) .

### ● إسفاف !

ويغالى الشيعة بصفة عامة فى تقدير الأحساب والأنساب ، على نقيض  
ما يقرره كتاب الله تعالى فى قوله ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]  
وينحدر الناقد الشيعى إلى الحضيض حين يتناول على الأمهات . من ذلك أنهم  
يمقتون عمرو بن العاص مقتاً شديداً لموقفه المؤيد لمعاوية ضد علي . فيقول

(١) المجلسى ؛ بحار الأنوار ؛ ج٢ باب ٢٨ ص ٢١٣

قائلهم : إن أم عمرو بن العاص كانت بغياً من صاحبات الرايات في مكة ! (١) أما الحقائق فتقول إن النبي صلى الله عليه وسلم وآله كان يقرب عمرو ابن العاص ويدنيه لمعرفته وشجاعته : « وولاه غزاة ذات السلاسل ، وأمه بأبي بكر وعمرو وأبي عبيدة بن الجراح ، ثم استعمله على عُمان ، وكان من أمراء الأجناد في الشام في زمن عمر ، وهو الذي فتح قنسرين ، وصالح أهل حلب و« منبج » وأنطاكية وولاه عمر فلسطين » . وشهد له قبيصة بن جابر فقال : « صحبت عمرو ابن العاص فما رأيت رجلاً أبين قرآناً ، ولا أكرم خلقاً ، ولا أشبه سريرة بعلائية منه » . وكان الشعبي المحدث الكبير يقول : « دهاة العرب في الإسلام أربعة ، فعُدَّ منهم عمرو بن العاص . ثم قال : فأما عمرو فللمعضلات » . وولي عمرو إمرة مصر في زمن عمر بن الخطاب ، وهو الذي افتتحها . . وولي مصر لمعاوية من صفر سنة ٣٨ هـ إلى أن مات سنة ٤٣ هـ (٢) .

ومن حق الناقد أن يعترض على مواقف عمرو السياسية . لكن ليس من حقه أن ينال من عرض أمه ، حتى لو كان يملك الدليل القاطع على ذلك ، فما بالك حين لا يوجد دليل ؟ أليس هذا رمي لامرأة محصنة ؟ ! ثم أليس لهذا القائد العظيم ، حرمة ؟ وأين زعماء الشيعة من عمرو بن العاص ؟ ماذا فتحوا من البلاد ؟ وماذا قادوا من الجيوش ؟ ( باستثناء علي رضي الله عنه ) .

هذا في إيجاز موقف الشيعة من الصحابة ومن الراشدين . وهو موقف أساسي عندهم ، ومن العسير وإن لم يكن من المستحيل ، أن يتزحزحوا عنه ! لأنه يستند إلى اعتقادهم أن الخلافة وصية ، وأن الراشدين اغتصبوها من علي !

### ● موقف استثنائي

والاستثناء الذي قابلته بينهم هو الدكتور موسى الموسوي ، وهو عالم شيعي معاصر ؛ إنه ينتقد موقف الشيعة الذين يمارسون السباب بأحط الأساليب المُسْفَة في وصف الخلفاء الراشدين الثلاثة وأمّهات المؤمنين . وهو يؤكد أن ذلك السباب لا يجوز أن يصدر من مسلم إلى مسلم آخر عادي ، ناهيك عن أن يكون خليفة ، وأن تصدر عن فرقة مسلمة ضد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله

(١) الميلاني ؛ قادتنا ؛ ج ٥ ص ٢٩٠ - الهامش . (٢) الإصابة في تمييز الصحابة .

وأزواجه - صحابة لهم مكانة كبيرة فى قلوب المسلمين وأزواج النبى سماهم الله أمهات المؤمنين» (١) .

ثم يقول الدكتور الموسوى : « ولا أطلب من الشيعة فى هذه الدعوة التصحيحية أن تقول وتعتقد فى الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الإمام علياً ، أكثر مما قاله الإمام فى حقهم . فلو التزمت الشيعة بعمل الإمام علي لانتهى الخلاف وساد الأمة الإسلامية سلام فكرى عميق ، فيه ضمان الوحدة الإسلامية الكبرى» (٢) .

### ● موقف أهل السنة : مولاة جميع الصحابة

وفى مقابل موقف الشيعة من الصحابة يبرز الموقف الإيجابى لأهل السنة ، وقد تميز بالاستناد إلى القرآن الكريم دون تعسف أو تأويل . وقد أورد ابن حجر رحمه الله صورة ذلك الموقف بوضوح فقال : « إن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم . فمن ذلك قوله تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] وقوله ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [الفتح : ١٨] وقوله : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] وقوله ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر : ٨] وفى آيات أخرى كثيرة يطول ذكرها ، وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها . وجميع ذلك يقتضى القطع بتعديلهم ، ولا يحتاج أحد منهم إلى تعديل أحد من الخلق . على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التى كانوا عليها ( من الهجرة ، والجهاد ، ونصرة الإسلام ، وبذل المهج والأرواح ، وقتل الآباء والأبناء والمناصحة فى الدين ، وقوة الإيمان واليقين ) القطع على تعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم والمعدلين الذين يجيئون

(٢) نفسه ؛ ص ٤٨

(١) الشيعة والتصحيح ؛ ص ١٠ .

من بعدهم . هذا مذهب كافة العلماء ومَنْ يعتمد قوله . ثم روى حديثاً بسنده إلى أبي زرعة قال : إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فأعلم أنه زنديق . وذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كلُّه الصحابة . وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة . (١)

والرجل لا يعتبر صحابياً إلا بخبر متواتر ، أو مستفيض ، أو مشهور ، أو بحضور يوم بدر أو الحديبية ؛ أو أن يقول الرجل عن نفسه أنا صحابي ، وهو ثابت العدالة ؛ وكذلك معاصرة الرجل للنبي ؛ وقول الراوى : سمعت من رسول الله ؛ وإمارة المغازى .

### ● تقويم الصحابة

وتقويم الصحابة يجب أن يكون فردياً ، وإنها لجريمة كبرى سبَّهم جميعاً دون تمييز ! كما أن نقدهم بموضوعية عمل علمي ، فهم بشر ، ويخطئون ، بعكس عقيدة الشيعة أن الأئمة معصومون . ونعلم جميعاً أن أحدهم قد ارتد بعد إسلامه وهو عبد الله بن خطل الذي أمر النبي بقتله وهو معلق بأستار الكعبة . ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « إن أهل السنة يتولون جميع المؤمنين ، ويتكلمون بعلم وعدل ؛ ليسوا من أهل الجهل ولا من أهل الأهواء . ويتبرأون من طريقة الروافض والنواصب جميعاً ، ويتولون السابقين الأولين كلهم ، ويعرفون قدر الصحابة وفضلهم ومَنَاقِبهم ، ويرعون حقوق أهل البيت التي شرعها الله لهم . ولا يرضون بما فعله المختار ونحوه من الكذابين (٢) ، ولا ما فعل الحجاج ونحوه من الظالمين . ويعلمون مع هذا مراتب السابقين الأولين ، فيعلمون أن لأبي بكر وعمر من التقدم والفضائل ما لم يشاركهما فيها أحد من الصحابة ، لا عثمان ولا علي ولا غيرهما ... حتى أن الشيعة الأولى أصحاب علي لم يكونوا يرتابون في تقديم

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ؛ ج١

(٢) منهاج السنة النبوية ؛ ج١ ص ١٦٥

أبى بكر وعمر عليه . وكيف وقد ثبت عندنا ( عن علي ) من وجوه متواترة أنه كان يقول : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ؟ » (١)

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي : « إن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم . ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله على إمام أصلاً ؛ إذ لو كان ، لكان أولى بالظهور من نصيبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود في البلاد ، ولم يخف ذلك ، فكيف خفي هذا ؟ ! وإن ظهر ، فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا ؟ فلم يكن أبو بكر إماماً إلا بالاختيار والبيعة . وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، وخرق الإجماع ، وذلك مما لا يستجري على اختراعه إلا الروافض . واعتقاد أهل السنة : تركية جميع الصحابة ، والثناء عليهم ، كما أثنى الله تعالى ورسوله ﷺ . (٢) وقد عبر الشاعر الشيخ شمس الدين بن الملحي ( توفى سنة ٧٤٤ هـ ) عن موالاته أهل السنة للصحابة جميعاً ولآل البيت فقال :

ليس لي غير إلهي ذي الكرم	غافر الزلات
والنبي المصطفى بدر الظلم	صاحب الآيات
أحمد الهادي الرسول المحتشم	سيد السادات
بدر حق يخجلُ البدر التمام	مشرق الأنوار
الذي كان تغشاه الغمام	وهو في الأسفار
سلم الله عليه وعلى	آله الأعيان
وعلى صديقه تاج العلا	سابق الإيمان
وعلى الفاروق مأمون الملا	والرضا عثمان
وعلى فارس الجيش الهمام	الفتى الكرار
وعلى أولاده الزهر الكرام	خير الأخيـار

(١) الموضع نفسه . (٢) إحياء علوم الدين ؛ ج ١ ص ٨٩

رحم الله الشاعر شمس الدين وجزاه خير الجزاء .

آخر وصية للرسول : « الصلاة وما ملكت أيمانكم »

وكثير من الأدلة تثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم وآله لم يوص لأحد بالخلافة . من ذلك قول أنس بن مالك رضى الله عنه : « كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه : « الصلاة وما ملكت أيمانكم »<sup>(١)</sup> وعن علي بن أبي طالب قال : « كان آخر كلام النبي صلى الله عليه وسلم وآله : « الصلاة وما ملكت أيمانكم »<sup>(٢)</sup> وكان يوسع النبي أن يوصى لعلي بالخلافة بكلمات كهذه : « علي بن أبي طالب هو الخليفة من بعدى » ، ولكنه لم يقلها . ومن ذلك ما يرويه ابن هشام فى السيرة من أن النبي صلى الله عليه وسلم وآله ، خرج فى مرضه الذى مات فيه عاصباً رأسه : « حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب « أحد » واستغفر لهم فأكثر الصلاة عليهم »<sup>(٣)</sup> . ولو أراد أن يوصى لأحد لفعل ، من غير كتابة ولا صحيفة .

وعن الهزبل بن شرحبيل قال : « أتقولون : أبو بكر كان يتأمر على وصي رسول الله ﷺ !؟ وذاك أبو بكر أنه وجد من رسول الله ﷺ عهداً ، فخنز أنفه بخزام ! »<sup>(٤)</sup> يريد أن يقول مستنكراً إن تلك مقولة كاذبة ، وإن أبا بكر لا يمكن أن يقبل أن يكون أميراً على أى إنسان أوصى له النبي بالإمارة . فلم توجد وصية لأحد .

ويقول الذهبي : « ووكلي الخلافة عمر بنص من أبي بكر ، فلم يختلف عليه اثنان : فوالله لو نص النبي ﷺ على علي بن أبي طالب ، كما تفتري الرافضة - لما اختلف عليه اثنان أيضاً »<sup>(٥)</sup> .

حقاً ، كيف نُصدّق انصياح كبار الصحابة لوصية أبي بكر لعمر ، وتنكرهم لوصية النبي ﷺ لعلي !؟

(١) ابن ماجة ؛ رقم ٢٦٩٧ ج٢ ص ٩٠ (٢) نفسه ؛ رقم ٢٦٩٨ .

(٣) سيرة ابن هشام ؛ ج٤ ص ٦٤٩

(٤) سنن ابن ماجة ؛ كتاب الوصايا - رقم ٢٦٩٦ - ج٢ ص ٩٠٠

(٥) الذهبي ؛ العبر ؛ ج١ ص ١٣

وأكرر أن النبي ﷺ لو أراد أن يوصى بتولية علي من بعده لأعلن ذلك بعبارات صريحة قاطعة ، وأخذ العهد على كبار الصحابة بالعمل به ، كأن يقول : علي بن أبي طالب يجب أن يكون خليفتي في حكم الأمة ، وعليكم جميعاً طاعته . وفي مرضه الذي مات فيه كان من المؤكد أن يعيد توكيد إمامة علي علناً على رؤوس الأشهاد حتى لا يقع خلاف ، والأمة مهتدة بحركة الردة وظهور الأنبياء الكذبة . لكن شيئاً من هذا لم يحدث ، وبذلك يصبح مذهب أهل السنة هو الأرجح .

إن الخلفاء الراشدين عند أهل السنة خمسة : «أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ، ومن سواهم مبتز» هذا قول الشافعي كما سبق أن رأينا فلم يثبت عمر بن عبد العزيز .<sup>(١)</sup> وترتيبهم هو الترتيب الذي حدث في واقع حياة الأمة المسلمة .

أما عند الشيعة الإمامية فثمة خلاف كبير . فبعضهم يأخذ بما وقع في التاريخ ، ويقترّب من أهل السنة ، مع اعتراضات على الترتيب ، فكان الواجب عندهم أن يكون علي أولاً . وبعضهم لا يعترف بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، ويعتبرونهم ظلمة اغتصبوا الإمامة من صاحبها الذي نصّ عليه النبي ﷺ . وبعضهم يضيف الحسن بن علي بوصفه الخليفة الراشد الخامس ، مع اعترافهم بعدالة عمر بن عبد العزيز ومشروعية حكمه .

### ● عودة إلي المقارنات بين علي وأبي بكر

يقول أحد الكتاب الشيعة الإمامية مصوراً عقيدتهم : «إن الإمامية لما رأوا فضائل أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) وكمالاته لأتخصي ، قد رواها المخالف والموافق ، ورأوا الجمهور قد نقلوا عن غيره من الصحابة مطاعن كثيرة ، ولم ينقلوا في علي طعناً ألبتة ، اتبعوا قوله ، وجعلوه إماماً لهم ، حيث نزهه المخالف والموافق ، وتركوا غيره حيث روي فيه من يعتقد إمامته من المطاعن ما يطعن في إمامته» .<sup>(٢)</sup>

(١) آداب الشافعي ؛ ص ١٩١

(٢) منهاج السنة النبوية ؛ ج ٣ ص ٢

ويرد ابن تيمية رحمه الله على هذه المزاعم فيقول إن: «الفضائل الثابتة في الأحاديث الصحيحة لأبي بكر وعمر أكثر وأعظم من الفضائل الثابتة لعلي». وأما المطاعن التي أشار إليها ذلك الكاتب: «فلا يمكن أن يُوجَّه على الخلفاء الثلاثة من مطعن إلا وجَّه على علي ما هو مثله أو أعظم منه».

وينفى ابن تيمية الزعم بأن علياً قد نزهه المخالفون، ويقول إن القادحين في علي طوائف متعددة، وهم أفضل من القادحين في أبي بكر وعمر وعثمان، والقادحون في علي أفضل من القادحين في أبي بكر وعمر وعثمان. والقادحون في علي أفضل من الغلاة فيه. فالخوارج متفقون على كُفْرِهِ، وهم عند المسلمين خير من الغلاة الذين يعتقدون إلهيته أو نبوته، بل هم والذين قاتلوه من الصحابة والتابعين خير عند جماهير المسلمين من الرافضة الاثنى عشرية الذين اعتقدوه إماماً معصوماً. وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ليس في الأمة من يقده فيهما إلا الرافضة. والخوارج المكفرون لعلي يوالون أبا بكر وعمر ويترضون عنهما. والمروانية الذين ينسبون علياً إلى الظلم ويقولون إنه لم يكن خليفة، يوالون أبا بكر وعمر، مع أنهما ليسا من أقاربهم»<sup>(١)</sup>

ثم يحاول ابن تيمية إثبات أن أبا بكر وعمر كانا أفضل من علي، فيقول: «إن الثلاثة - أبا بكر وعمر وعثمان - اجتمعت الأمة عليهم، فحصل بهم مقصود الإمامة، وقُوتل بهم الكفار، وفتحت بهم الأمصار. وخلافة علي لم يقاُتل فيها كافر، ولا فُتح مصر، وإنما كان السيف فيها بين أهل القبلة»<sup>(٢)</sup>.

وهنا أذكر بما سبق أن قلته، وهو أن المقارنة بين الخلفاء خطأ علمي، لأن الظروف التي تولَّى كل واحد منهم فيها مقاليد السلطة مختلفة. فأبو بكر واجه حركة الردة، وعمر تولي والأمة في حرب ضد الروم، وعثمان كان عليه أن يواصل الفتوحات التي كانت دائرة. وأما علي فكان عليه أن يواجه انشطار الأمة إلى معسكرين متقاتلين. وكان لكل خليفة إسهاماته الخاصة في سبيل الإسلام.

فأبو بكر أسهم بما له وجهه؛ وعمر أسهم بقوته ومكانته المرهوبة؛ وعثمان

(٢) نفسه؛ ج١ ص ١٤٥

(١) نفسه؛ ج٣ ص ٣

كان أسخى الممولين للدولة المسلمة الفتية . وعلي كان مثالا نادرا في شجاعته وجسارته في ميادين القتال . هذا في إيجاز شديد بيان الفروق النوعية بينهم بما يجعل المقارنات والموازنات بينهم خاطئة . (١)

ولم يكن ذنب « علي » أنه قاتل معاوية وأتباعه ؛ بل الذنب يقع على عاتق معاوية . وكان « علي » على صواب في قتال المبتزين المتمردين الذين أرادوا القضاء على نظام البيعة الحرة . وكان أكبر خطأ في تاريخ أمتنا هو تسليم الحسن بن علي مقاليد الحكم لمعاوية .

ثم إن قدح الخوارج على علي لا قيمة له ، ولا يجوز الاستشهاد به لإثبات فضل أبي بكر وعمر . بل العكس هو شهادة لصالح علي .

وأما الغلاة القائلون بالوهيته فكانوا طائفة شاذة ، وقد نكل بهم رضى الله عنه ، ورفضهم أولاده وشيعته جميعاً . (٢)

وأحسب أنه لا يجوز القول بتفضيل من قاتل علياً على من قاتل معه . وقد شهد الشافعي بأن معاوية كان مبتزاً ؛ فكل من قاتل معه فقد قاتل مع مبتز أو إمام جور ، بصرف النظر عن نياتهم وصلاح أعمالهم . وعلي هو الخليفة الراشد الرابع لدى المسلمين باستثناء بنى أمية ، وهو أمير المؤمنين الشرعى الذى بايعه المسلمون بالإجماع بُعِيدَ مقتل عثمان . ولا يجوز أن تجارى الغلاة الذين رفعوا علياً إلى مرتبة النبوة أو الإلهية ، وحاولوا الخط من أقدار الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان ، رضى الله عنهم جميعاً ، فنزلت إلى هاوية الإساءة إلى هذا الصحابي أو ذاك ، ولا نجنى من وراء ذلك إلا المزيد من الشروخ التى تضرب كيان أمتنا المسلمة .

### ● عباس أراد الحصول على وصية من النبى

وقد أخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ فى وجعه الذى تُوُفِّيَ فيه فقال الناس : يا أبا حسن !

(١) ومن أراد المزيد فليرجع إلى أبواب فضائل الصحابة فى كتب الحديث والتاريخ .

(٢) سنعالج مقولات الغلاة فى المبحث السادس .

كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً. قال ابن عباس: فأخذه بيده عباس بن عبد المطلب فقال: ألا ترى أنت - والله - أن رسول الله ﷺ سيتوفى في وجعه هذا؟ إني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، فأذهب بنا إلى رسول الله ﷺ، فلتسأله فيمن هذا الأمر؟ فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا كلفناه فأوصى بنا. فقال علي رضي الله عنه: والله لئن سألتها رسول الله ﷺ فمَنَعَهَا لا يُعطيناها الناس أبداً! فوالله لا أسأله أبداً! (١)

وعن علي رضي الله عنه أنه قال يوم وقعة «الجمل»: «إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا عهداً نأخذ به في إمارة، ولكنه شيء رأيناه من قبل أنفسنا، ثم استخلف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، فأقام واستقام، ثم استخلف عمر، رحمة الله على عمر، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه». (٢)

هذان الخبران يبينان أن النبي ﷺ لم يوص لأحد بعينه بالخلافة حتى أيامه الأخيرة قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى. فلا بد من الشورى لاختيار أحد رجالات قريش للخلافة، وهذا هو ما حدث، وهو المعتمد لدى أهل السنة ولدى بعض أئمة الشيعة، فعلياً إمام الشيعة الأول، رفض أن يطلب من النبي الوصية له، خشية أن لا يستجيب لطلبه، فلا ينالها بعد ذلك أبداً. وفي الخبر الثاني يعلن علي أن الخلافة ذهبت إلى أبي بكر ثم إلى عمر بالرأى والمشورة. وكان الإمام أبو جعفر محمد الباقر يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر، وأن من أبغضهما فقد أبغض سنة محمد ﷺ. (٣)

وقال «غيلان الدمشقي» أحد أشهر القائلين بحرية الإرادة، إن الإمامة تجوز لكل من يقوم بالكتاب والسنة، وإنها لا تثبت إلا بإجماع الأمة. (٤) وهو يختلف مع أهل السنة ومع الشيعة، كما سنرى، لكنه يتفق مع ما آلت إليه أوضاع الأمة

(١) الفتح الرباني؛ كتاب الخلافة والإمارة؛ رقم ١ ج-٢٣ ص ٤، والطبقات الكبرى لابن

سعد؛ ج ٢ ص ٣٤٧؛ والحديث أخرجه البخاري، وابن هشام؛ ج ٤ ص ٦٥٤.

(٢) الفتح الرباني؛ كتاب الخلافة والإمارة؛ رقم ٢؛ ج-٢٣ ص ٤.

(٣) أبو زهرة الإمام الصادق؛ ص ١١٢

(٤) الشهرستاني؛ الملل والنحل؛ ج ١ ص ١٤٣

المسلمة اليوم، حيث أصبحت الديمقراطية أمنية عزيزة لشعوبها شريطة الالتزام بالكتاب والسنة .

واتخذت الخلافة طريقاً آخرًا على يدى معاوية بن أبى سفيان ومن بعده بنو أمية ، وهى طريق « السيف » أو « الغلبة » ، بدون بيعة حرة ، وهو الملك الوراثى العضوض . ومن المحزن أن ذلك النظام هو الذى سيطر على الأمة على امتداد التاريخ وحتى اليوم باستثناء الفترة القصيرة التى حكم فيها عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وفترات قصيرة فى العصر الحديث فى بعض البلاد المسلمة .

### ● الخلافة وصية لعلي : عقيدة الإمامية

أما الشيعة الإمامية فقد قرروا - كما ذكرنا سلفاً - أن مسألة الإمامة عقيدة ، وأنها قد ثبتت لعلي بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، ولولده من بعده فى حين رأى أهل السنة أنها مسألة عملية مصلحية لا تدخل فى العقائد ، وأنها غلو فى تقديرهم لأئمتهم .<sup>(١)</sup>

ويُورد الشيعة أحاديث لإثبات الوصية بإمامة علي . من ذلك حديث « غدير خم » - وهو مكان بين مكة والمدينة ، فيه خطب النبي ﷺ الناس ، حين رجع من حجة الوداع ، فقال : « أَلَسْتُ بِأَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ بلى . فقال : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَانصِرْ مَنْ نَصَرَهُ ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ .<sup>(٢)</sup> وقال أيضاً : « أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَأَزْوَاجِي أُمَّهَاتِهِمْ ؟ فَقُلْنَا : بلى يا رسول الله : قال : فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِي مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ .<sup>(٣)</sup> »

وقد اعتبر الشيعة أن هذا الحديث هو وصية لعلي بالإمامة بعد رسول الله ﷺ . لكن أهل السنة فسروا الموالاتة على أنها موالاتة محبة .<sup>(٤)</sup>

(١) أبو زهرة ؛ رقم ١٦٢ ص ٢٠٣ .

(٢) نفسه ؛ ص ٣٦٦

(٣) الفتح الربانى ؛ رقم ٢٧٦ ؛ ج ٢٣ ص ١٢٦ - وإسناده صحيح .

(٤) نفسه ؛ ص ٣٦٨ .

وهذا هو الخلاف الرئيسي بين الشيعة والسنة . وقد ترتب عليه خلاف حاد في الموقف من الصحابة عامة ومن الثلاثة الراشدين خاصة . فقد اعتبرهم بعض الشيعة ظلماً اغتصبوا حق علي في الإمامة ؛ وبالغ بعضهم في العداء للراشدين فاستحلوا سبهم والانتقاص منهم والخط من أقدارهم . وسوف أفصل القول في هذه المواقف فيما بعد .

ويستشهد الشيعة بأحقية علي في الإمامة بوصية النبي ﷺ حين قال لعلي: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » .<sup>(١)</sup> وفي رواية أخرى قال ابن إسحاق إن رسول الله ﷺ حين خرج إلى تبوك خلف علياً على أهله: « وأمره بالقيام فيهم ، واستخلف على المدينة سباع بن عرفة » . قال علي: « يا نبي الله ! زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقتني وتخفت مني ؟! فقال : كذبوا ! ولكني إنما خلفتك لما ورائي ، فارجع فاخلفتني في أهلي وأهلك . أفلاً ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي بعدي » .<sup>(٢)</sup>

ويختلف أهل السنة في تفسير هذا الحديث الصحيح . فيقول ابن حزم إنه لا يُوجب لعلي فضلاً على من سواه: « ولا استحقاق للإمامة بعده عليه السلام ، لأن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى (عليهما السلام) ، وإنما وكي الأمر بعد موسى « يوشع بن نون » ، فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر (عليهما السلام) ويضيف قائلاً: « إن النبي قد استخلف قبل تبوك وبعد تبوك على المدينة رجالاً سوى علي رضي الله عنه . فصَحَّ أن هذا الاستخلاف لا يُوجب لعلي فضلاً على غيره ، ولا ولاية الأمر بعده ، كما لم يُوجب ذلك لغيره من المستخلفين » .<sup>(٣)</sup>

ويعتقد الشيعة الإمامية أن: « الإمامة منصب إلهي كالنبوة ؛ فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ، فكذلك يختار للإمامة من يشاء ، ويأمر نبيه بالنص عليه » .<sup>(٤)</sup>

(١) صحيح مسلم ؛ ج ١٥ ص ١٧٣-١٧٤ .

(٢) تاريخ الطبري ؛ أخبار سنة ٩ هـ ج ٣ ص ١٠٣-١٠٤ .

(٣) الفصل ؛ ج ٤ ص ١٥٩-١٦٠ .

(٤) كاشف الغطاء ؛ أصل الشيعة ؛ ص ١٢٨ .

وقد نصَّ النبي على إمامة علي في حديث «غدِيرخَم» وأعلن أن منزلة علي منه كمنزلة هارون من موسى. (١)

### ● نفي الوصية

وينفى ابن حزم أن يكون النبي قد وصَّى لعلي: «ولا ادَّعى ذلك عليُّ قط ، لا في ذلك الوقت (وقت وفاة النبي) ولا بعده ، ولا ادَّعاه له أحد في ذلك الوقت . ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن البتة ، ولا يجوز ، اتفاق أكثر من عشرين ألف إنسان - مُتَنَابِذِي الهمم والنيات والأنساب - وأكثرهم موتور من صاحبه في الدماء من الجاهلية ، على طيِّ عهدٍ عهدهُ رسول الله ﷺ إليهم . وما وجدنا قط رواية عن أحد في النص المدَّعى إلا رواية واهية عن مجهولين إلى مجهول يُكَنَّى «أبا الحمراء» لا يُعرف من هو في الخلق». (٢)

ويضيف ابن حزم قائلاً: إنه إذا كان هناك نص قد عرّفه الصحابة وجحدوه، وعصوا الرسول فهم كفار فساق: «فكيف حلَّ لعلي رضي الله عنه عند هؤلاء النوكي (الحمقى) أن يبايع طائعاً رجلاً إما كافراً وإما فاسقاً جاحداً لنص رسول الله ﷺ ، ويعينه على أمره ، ويجالسه في مجالسه ، ويواليه إلى أن مات ؟ ثم يبايع بعده عمر بن الخطاب ؛ مبادراً غير متردد ساعة فما فوقها ، غير مكره ، بل طائعاً ، وصحبه ، وأعانته على أمره ، وأنكحه من ابنته (أم كلثوم) ... ثم قبِلَ إدخاله في الشورى أحد ستة رجال ؟ فكيف حلَّ لعلي - عند هؤلاء الجهال - أن يشارك بنفسه في شورى ضالة ، وكفر ، ويغر الأمة هذا الغرور ؟» وكيف جحد الصحابة حق علي في الخلافة بعد النبي ثم بايعوه خليفة بعد عثمان ، وقتلوا معه ، وقتلوا بالثبات ؟ ثم وليَّ علي رضي الله عنه فما غير حكماً من أحكام أبي بكر وعمر وعثمان ، ولا أبطل عهداً من عهودهم ... وقد ارتفعت التقية عنه». (٣)

(١) الميلاني (آية الله العظمى) ؛ قادتنا ؛ ج١ ص ٢٣٧ - ٢٥٧

(٢) الفصل ؛ ج٤ ص ١٦١ - ١٦٢

(٣) نفسه ؛ ج٤ ص ١٦٤ - ١٦٥

وإذا قيل إن المهاجرين كانوا يحقدون علياً لأنه قتل أقرباءهم في الجاهلية، فلماذا لم يقف الأنصار معه ويعلنوا أنهم ملتزمون بالنص الذي أعلنه الرسول؟ ولماذا لم يحقد المهاجرون علياً أبي بكر وعمر ويرفضون البيعة لهما وقد قتل من المشركين ما قتل وقادا الجيوش التي قتلت المعتات من آبائهم؟

وصفوة القول إذن إنه لو وجد نص لما خالفه صحابي مهاجر أو أنصاري .

لكن الإمامية يؤكدون الوصية يوم «غدیر خم» بقدر ما ينفونها ابن حزم! يقول الإمامية إن النبي ﷺ - أوصى لعلي يوم الغدير، وأن أبا بكر وعمر وعثمان وظلحة والزبير وغيرهم بايعوا علياً وهنأوه! ويحيلنا الشيرازي على «فتح القدير» للشوكانى، وإلى تفسير الطبرى، فلا نجد حرفاً واحداً عن تلك القصة أيضاً! (١)

ولا مجال هنا للخطأ فى أرقام الصفحات بسبب اختلافهما فى الطبقات المختلفة لأننا رجعنا إلى تفسير الآية ٦٧ من سورة المائدة، لا إلى صفحة بعينها. فماذا نقول فى مثل هذا الكاتب الذى يوصف بأنه «سلطان الواعظين»؟ أهو مخطئ أم مخادع ومتعصب؟

والشيعة يؤكدون أن النبي أوصى بالخلافة لعلي، لكنهم يذرفون الدمع تهنئاً لأن عمر منع النبي وهو على فراش الموت من أن يكتب وصيته لعلي! والأخبار تقول إن علياً خاف أن يسأل النبي أن يوصى له فيرفض، وتقول عائشة إن النبي كان يريد أن يكتب لأبيها بالخلافة .

وهم يقولون إن النبي ﷺ قال: «تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً: كتاب الله وعترتى» (٢) ثم يتباكى على كتاب ثالث يزعمون أن النبي كان «ينوى» أن يوصى فيه لعلي! وعند الحديث عن حديث الغدير يؤكدون أن النبي

(١) راجع كتاب «ليالى بيشاور» للشيرازي؛ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ - وراجع تفسير الطبرى للآية وتفسير الشوكانى لها .

(٢) صحيح مسلم؛ ج ١٥ ص ١٥٥

أوصى لعلي بالخلافة من بعده ، ولأبناء علي من بعده <sup>(١)</sup> ويزعم الكليني أن جبريل نزل على النبي ﷺ بصحيفة فيها الوصية للاثنا عشر ، وأسر بها لعلي وفاطمة ! وهذا ما نفاه البرقي نفسياً قاطعاً ! <sup>(٢)</sup> وأين هي تلك الصحيفة المزعومة ؟ ولماذا لم يحتج بها علي ولم يبرزها ليحسم الخلاف !؟

### ● روايات الكليني ونقضها

وقد أورد الكليني خمس روايات في باب «أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد» . وتنص الروايات على أن : «علي كل إمام أن يوصى بأن الله عين الإمام» ومعنى هذا أن الوحي لم ينقطع بوفاة النبي - ﷺ - وأنه استمر ينزل على الأئمة لتعيين الإمام التالي للإمام السابق .

وهذا يناقض عقيدة ختم النبوة التي عبر عنها القرآن الكريم ، وعبر عنها علي -رضي الله عنه - حين خاطب النبي ﷺ بعيد وفاته بقوله : «بأبي أنت وأمى يا رسول الله ، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنبياء وأخبار السماء» .

- ويذكر البرقي أن العلامة المجلسي ضَعَّف روايات الكليني ، وحكم بأن رواياتها مجهولون ومضطربون ومرتدون !

ويقول البرقي إن الكليني صنع بأولئك الرواة مذهباً مخالفاً لكتاب الله .. فقد روى أن الله تعالى أنزل صحيفة مختومة موهورة من الله على رسوله عين فيها ولاية الأمة وأوصياءها ، وكان ذلك وقت قبض روح النبي ﷺ حين أخلى الغرفة واختلى مع علي وفاطمة ، وقال لعلي : عليك أن تعمل بهذه الصحيفة وهذه الوصية ، وتوالي أولياء الله وتعادى أعداءه وتبرأ منهم .. في خبر طويل من الافتراءات !

- ويعلق البرقي على هذا الخبر فيقول إنه كان الأجدي أن يعلن النبي عن تلك الصحيفة ، لأن يسريها لعلي وفاطمة ! <sup>(٣)</sup>

(١) راجع : مكارم الشيرازي ؛ آيات الولاية في القرآن ؛ ص ٢٢ ، ص ٣٦٣ ؛ والميلاني ؛ قادتنا : ١١/٢

(٢) كسر الصنم ؛ ص ٢١٥ (٣) كسر الصنم ؛ ٢١٤-٢٢١

ثم يؤكد عدالة الصحابة بأدلة قرآنية عديدة ويؤكد مشروعية إمامة الصديق رضی الله عنه .

### ● الإصلاحيون الشيعة وتصحيح الأخطاء

- وكما سبق أن ذكرت يؤمن الشيعة الإمامية بأن الله تعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وآله بأن يعهد بالخلافة لعلي ، وأن النبي صدع بالأمر وأعلن ذلك في «غدیر خم» لكن أبا بكر وعمر تأمرا لاغتصاب الخلافة ، وعلى ذلك استباحوا سيئهما وسب الصحابة الذين أيدهما !

- والشيعة متمسكون بذلك وقد أشرت من قبل إلى الاستثنائين اللذين لقيتهما وهما الدكتور موسى الموسوي وآية الله العظمى البرقي اللذان يطالبان بالتوقف عن الزعم بوجود وصية إلهية وعهد نبوي بالخلافة لعلي .

- يقول الدكتور الموسوي إن الآراء القائلة إن الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وآله كانت في علي والنص الإلهي ، وأن الصحابة - ماعدا نفر قليل منهم - خالفوا النص الإلهي بانتخابهم أبا بكر ، هذه الآراء ظهرت بعد إعلان غيبة الإمام الثاني عشر سنة ٣٢٩ هـ . وذلك عهد الانحرافات ! (١)

- ويقول د . الموسوي إن مواقف بعض علماء الشيعة تتناقض مع : «مواقف الإمام علي والأئمة من بعده بصورة ملتوية ظاهرها مليح وباطنها قبيح ، لكي يثبتوا آراءهم حسب أهوائهم» . (٢)

- فقد كان الإمام علي يقول إنه : «لا نص عليه من السماء . وصحابة علي والذين عاصروه كانوا يعتقدون بذلك أيضاً . وقد استمر هذا الاعتقاد حتى عصر الغيبة الكبرى» . (٣)

- ويقرر د . الموسوي أن القول بوجود نص إلهي على خلافة علي يصطدم بخمس عقبات أساسية : كل واحدة منها تكفي لهدم الفكرة من أساسها ، وهذه العقبات هي :

(١) الشيعة والتصحيح ، ص ١٤ (٢) نفسه ، ص ١٦ (٣) نفسه ، ص ١٩

- ١- موقف صحابة الرسول من الخلافة .
- ٢- أقوال الإمام نفسه فى الخلافة .
- ٣- بيعة الإمام علي للخلفاء الثلاثة .
- ٤- أقوال الإمام علي فى الخلفاء الثلاثة .
- ٥- أقوال أئمة الشيعة فى الخلفاء الثلاثة . (١)

### ● وصية علي لولده الحسن

ومما يؤكد أن الإمام علي بن أبى طالب رضى الله عنه لم يكن يؤمن بأن الخلافة وراثية ووصية وعهد من كل خليفة إلى ولده ، أنه لم يوص بالخلافة لولده الحسن . فبعد أن طعن وحضره الموت ، طلب دواة وصحيفة ، وأمر الكاتب أن يكتب وصيته ، فقال : «أوصيك يا حسن ، وولدى ، وجميع أهل بيتى ، ومن بلغه كتابى هذا من المؤمنين بتقوى الله ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ولم يوص بالخلافة للحسن ولا للحسين ، ولم ينصح أتباعه بالبيعة لأحد بعينه ، وتركهم ليتشاوروا ثم يختاروا .

### ● الشورى مطلب أمتنا اليوم

ومن المؤكد أن ترك الأمور شورى للأمة تكريم لها : «ولم يرد النبى صلى الله عليه وسلم وآله أن يقيد الأمة بقيد يعتبره الناس حكماً دينياً . فلن نص على شخص لصار الحكم فيه وفى أسرته وراثياً ، ولكن الرسول أراد أن يترك الأمة حرة فى اختيارها . وكان هذا اعترافاً بحق الأمة وإرادتها . فىكون الإسلام - إذن - قد قرر الأصل الأول للديموقراطية ، وجعل هذا الأساس الذى تقوم عليه دولة الإسلام»<sup>(٢)</sup> ويدل اختيار أبى بكر يوم السقيفة : «على أن طريق الحكم والسلطة فى الإسلام هو اختيار الأمة . وهذا من أكبر مبادئ الديموقراطية»<sup>(٣)</sup>

(١) نفسه ؛ ص ٣٠ (٢) د . محمد ضياء الدين الرئيس ؛ الإسلام والخلافة ؛ ص ٢٦١

(٣) نفسه ؛ ص ٢٦٥

- واليوم يعتمد السُّنة والشيعة مبدأ أن الأمة هي مصدر كل سلطة .  
ويحاولون تطبيق المبادئ الديمقراطية ، بصرف النظر عن ذلك الخلاف التاريخي  
حول الإمامة . وتنجح بعض الشعوب المسلمة في تطبيق الديمقراطية بدرجة  
أو بأخرى ، وتفشل معظم الشعوب المسلمة في التخلص من النظم الاستبدادية  
والانقلابية والعسكرية ، ولكنها لا تكف عن النضال من أجل استعادة حقها في  
حكم نفسها بنفسها ، واختيار النظام الذي تؤمن به ، والرئيس الذي تثق به ،  
والنواب الذين يعبرون عنها بنزاهة . والعالم من حولنا يعتمد النظم الديمقراطية ،  
مما يبشر بنجاحنا في مسعانا . لكن الدولة الكبرى المتحكمة في العالم الآن وهي  
أمريكا تعين الطغاة والمستبدين عسكرياً وإعلامياً ودبلوماسياً ومخابراتياً ، لإحكام  
قبضتهم على مقدرات بلادنا لأن ذلك أضمن لمصالحها . وقد أفلح إخواننا الشيعة  
في إيران في التحرر من تحكم أمريكا ، وأقاموا دولتهم على أسس ديمقراطية .  
رنحن أهل السُّنة نجحنا أحياناً وأخفقنا كثيراً في التحرر من هذا الطاغوت  
الأمريكي .